

ما هو موقف الكتاب المقدس الصحيح؟

بقلم: شكري حبيبي

أجل، ما هو موقف الكتاب المقدس الصحيح تجاه الأحداث الدامية المؤلمة التي تجري في فلسطين؟ لقد طرحت هذه الأحداث تساؤلات عديدة لدى الكثيرين، لاسيما وأن بعض أجهزة الإعلام المسيحي هنا في الولايات المتحدة الأمريكية مع الأسف، اتخذت مواقف بعيدة جداً عن الموقف المسيحي السليم، لا بل مضادة لتعليم الكتاب المقدس في هذا الخصوص. وهذا ما أدى إلى البلبلة، وأوقع الكثيرين في الحيرة.

قالت لي إحدى قريباتي مؤخراً: "لم أعد أستطيع الاستماع إلى البرامج المسيحية، فكلها تنظر نظرة عنصرية ضيقة ومتحيزة وغير مسيحية لما يجري في فلسطين. إنني أحس أنهم يكرهوننا نحن العرب". وسمعت عن شخص آخر، أنه ترك الكنيسة الأمريكية التي كان عضواً فيها، والسبب لأنه لم يعد يحتمل ما يسمعه من كلام متحيز غير سليم، ولا يوافق تعليم الكتاب المقدس كما يفهمه المسيحيون البتة. فأين هي الحقيقة؟ وهل نبرر كمسيحيين الاحتلال وهضم حقوق الآخرين بحجج واهية ليس لها أي أساس كتابي.

لكي نوضح موقفنا ونجيب عن هذه التساؤلات لا بد أن نطرح الموضوع من جانبين: الجانب الأول: ما هي الأسس التي تعامل فيها الله مع إسرائيل في العهد القديم. الجانب الثاني ماذا عن تعليم الكتاب المقدس بالنسبة لما يجري من أحداث في فلسطين.

الجانب الأول: ما هي الأسس التي تعامل فيها الله مع إسرائيل في العهد القديم؟

لا أحد يشك بقداسة الله وعدالته، فالله إله قدوس وعادل. وليس هذا فحسب بل طلب من الشعب قديماً أن يبتعد عن الشر ويصنع العدل وحذرهم من الظلم والجور. أنشد موسى قائلاً: "إنني باسم الرب أنادي. أعطوا عظمة لإلهنا. هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل له أمانة لا جور فيه صديق وعادل هو." (تثنية ٣٢: ٤)

وأوصى الله بني إسرائيل قديماً: "لا ترتكبوا جوراً في القضاء. لا تأخذوا بوجه مسكين ولا تحترم وجه كبير. بالعدل تحكم لقريبك." (لاويين ١٩: ١٥) "افتح فمك. افض بالعدل وحام عن الفقير والمسكين." (أمثال ٣١: ٩) "هكذا قال الرب. احفظوا الحق واجروا العدل." (إشعيا ٥٦: ١) "كيف صارت القرية الأمينة زانية. ملأته حقا كان العدل يبيت فيها. وأما الآن فالقاتلون." (إشعيا ١: ٢١) "هكذا قال السيد الرب. يكفيكم يا رؤساء إسرائيل. أزيلوا الجور والاعتصاب وأجروا الحق والعدل." (حزقيال ٤٥: ٩)

وتطبيقاً لهذه الأسس نلاحظ في تاريخ إسرائيل قديماً ما يلي:

- أن الله لم يسمح لبني إسرائيل بدخول أرض كنعان قديماً لمدة أربعمئة وثلاثين سنة، بالرغم من عهده مع إبراهيم، إلا بعد إكمال ذنوب الشعوب القاطنة هناك. (راجع تك ١٥:١٦، تث ٩:٤-٦)

- لم يسمح الله بدخول الجيل الذي خرج من مصر إلى أرض كنعان بسبب عصيانهم وتمردهم عليه. ما عدا شخصين اثنين هما يشوع بن نون وكالب بن يفيث. حتى موسى نفسه لم يدخل الأرض، لأنه خالف وصية الله له. أليست هذه حقيقة يجدر بنا أن نأخذها في الحسبان عندما نتحدث عما يحصل في فلسطين اليوم.

- وطلب الله من بني إسرائيل أن يعاملوا الغرباء

في وسطهم كنفوسهم. "وإذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه. كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم وتحبه كنفسك لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر." (لاويين ٢٠:٢٣ و٢٤)

- إن الله لم يسمح للنبي والملك داود ببناء الهيكل، والسبب ليس لأنه أخطأ خطيئته الشنيعة المعروفة، لكن لأنه سفك دماء كثيرة. "وقال داود لسليمان يا ابني قد كان في قلبي أن أبني بيتاً لاسم الرب إلهي. فكان إليّ كلام الرب قائلاً قد سفكت دماً كثيراً وعملت حروباً عظيمة فلا تبني بيتاً لاسمي لأنك سفكت دماء كثيرة على الأرض أمامي." (أخبار الأيام الأول ٢٢:٧ و٨)

- ودان الرب الملك آخاب وامراته ايزابل عندما قتلا نابوت اليزرعيلي وأخذا حقله. (راجع ملوك الأول ٢١)

- وقد حذر الله بني إسرائيل منذ أن عقد العهد معهم في سيناء، وأنذرهم مرات عديدة أنه سيطردهم ويشنتهم بين الشعوب إن لم يحفظوا عهده معهم. قال الله: "انظر. أنا واضع أمامكم اليوم بركة ولعنة. البركة إذا سمعتم لوصايا الرب إلهكم التي أنا أوصيكم بها اليوم. واللعنة إذا لم تسمعوا لوصايا الرب إلهكم وزغتم عن الطريق التي أنا أوصيكم بها اليوم لتذهبوا وراء آلهة أخرى لم تعرفوها." (تثنية ١١:٢٦-٢٨) وهذا ما حصل بعدئذ إذ دان الله مملكتي إسرائيل ويهوذا بسبب شرورهم وعصيانهم وابتعادهم عنه، وسمح بتدمير دولتيهما وسبيهما إلى آشور وبابل.

يتضح لنا من كل هذه الشواهد أن الله قدوس وعادل، وقد تعامل مع بني إسرائيل قديماً على هذا الأساس. والسؤال الآن: هل تغير الله؟ وإذا كان الله في العهد القديم قد تعامل مع بني إسرائيل على هذه الأسس، فكيف به يتعامل معهم اليوم ونحن في العهد الجديد، وبعد أن رفضوا أن يملك عليهم المسيح منذ ألفي سنة؟ وماذا عن وضع اليهود الروحي اليوم؟ ألا يرفض معظمهم اليوم حتى الدين

اليهودي نفسه؟ وهل من المعقول أن يقبل الله القدوس والعدل ما يمارسونه من احتلال وبناء المستوطنات على أراضي ليست لهم؟ وكيف يستطيع بعض المسيحيين تبرير أعمالهم الإجرامية في الأراضي المحتلة. أولا يجب علينا كمسيحيين أن نقف مع العدل والسلام في فلسطين ونصلّي من أجله، وأن نستنكر الاحتلال؟

قال سليمان الحكيم في سفر الجامعة " إن رأيت ظلم الفقير ونزع الحق والعدل في البلاد فلا ترتع من الأمر. لأن فوق العالي عاليا يلاحظ والأعلى فوقهما. " (الجامعة ٥:٨)

إن الحركة الصهيونية هي حركة قومية سياسية عنصرية لا علاقة لها بالدين اليهودي، وقد اختارت فلسطين موطنها لها لكي تكسب عطف العالم الغربي، مع العلم أن معظم اليهود اليوم ليسوا من نسل ابراهيم بحسب الجسد بل هم من الأوروبيين الأشكناز الذين تهودوا في القرن السابع الميلادي. فهل ترانا ننخدع بالدعاية الصهيونية.

الجانب الثاني ماذا عن تعليم الكتاب المقدس بالنسبة لما يجري من أحداث في فلسطين:

لعل السؤال الذي يجب أن نطرحه في هذا المجال هو: هل حقّق المسيح في مجيئه كلّ مواعيد العهد القديم؟ للإجابة عن هذا السؤال علينا أن نعود إلى العهد الجديد من الكتاب المقدس. وبما أن الموضوع متشعب جدا وكبير، سنكتفي بموعد هام واحد تحقق بمجيء المسيح، ألا وهو الموعد لإبراهيم.

نحن نعلم أن الله وعد ابراهيم عدة وعود أهمها وعدان هما:

أ: أنه بنسلك تتبارك جميع قبائل وأمم الأرض. وقد فسّر لنا الرسول بولس هذا الوعد أن النسل المقصود هنا هو المخلص يسوع المسيح، وليس بني إسرائيل. " وأما المواعيد فقبلت في ابراهيم وفي نسله. لا يقول وفي الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد وفي نسلك الذي هو المسيح. (غلاطية ٣:١٦)

ب: وعد الله ابراهيم ونسله بأرض كنعان. وقد تحقق هذا الوعد حرفيا في أيام الملك سليمان. نقرأ في أخبار الأيام الثاني عن سليمان: " وكان متسلطا على جميع الملوك من النهر إلى أرض فلسطين وإلى تخوم مصر. " (أخبار الأيام الثاني ٩:٢٦)

فكيف فسّر لنا الرسول بولس في العهد الجديد تحقق هذا الوعد؟ قال: " فإنه ليس بالناموس كان الوعد لابراهيم ونسله أن يكون وارثا للعالم بل ببر الإيمان. لأنه إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطلّ الإيمان وبطل الوعد. " (رومية ٤:٣ و ١٤)

عجيب لماذا قال الرسول بولس هنا وارثا للعالم، مع أن الله كان قد وعد إبراهيم بالأرض. والجواب: لأن كل الأمور في العهد القديم كانت ترمز وتشير إلى حقائق روحية ستتم في العهد الجديد. فأرض كنعان كانت ترمز وتشير إلى ملكوت الله والبركات الروحية والسماوية. ولأن كل ما كان يتعلق بإسرائيل في العهد القديم صار متوفراً وشاملاً لجميع الأمم في العهد الجديد. ألم يقل المسيح في موعظته على الجبل: "طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض؟"

والأمر الآخر الأكثر عجباً هو أن الرسول بولس أكد لنا هنا، أنه "إن كان الذين من الناموس هم ورثة فقد تعطل الإيمان وبطل الوعد." وبتعبير آخر أكد الرسول بولس هنا أن وعد الله لإبراهيم بورثة الأرض الذي أصبح وعد ملكوت الله، لم يعد بعد مجيء المسيح له علاقة، أو محصوراً فقط بنسل إبراهيم بحسب الجسد، أي بإسرائيل. أليس أمراً غريباً أنه بعد ألفي سنة من كتابة الرسول بولس هذه الواضحة جداً، يأتي من يدعي أن وعد الله لإبراهيم ونسله الجسدي بالأرض مازال حياً وقائماً؟

لكن لمن هذا الوعد إذن يا بولس؟ أجابنا: "ليكون الوعد وطيذا لجميع النسل ليس لمن هو من الناموس فقط، بل أيضاً لمن هو من إيمان إبراهيم الذي هو أب لجميعنا. كما هو مكتوب إنني قد جعلتك أباً للأمم كثيرة." (رومية ٤: ٦ و ١٧) أي صار هذا الوعد لكل من يؤمن كما آمن إبراهيم. وبتعبير آخر صار لكل المؤمنين بالمسيح من الأمم واليهود.

وعاد الرسول بولس وأكد هذه الحقيقة في رسالته إلى غلاطية عندما قال: "فإن كنتم للمسيح فأنتم إذا نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة." (غلاطية ٣: ٢٩) عن أي موعد لإبراهيم وعن أية ورثة يتحدث هنا الرسول بولس؟ طبعاً عن موعد الأرض ووراثتها والبركات الأرضية، والذي أصبح في العهد الجديد، موعد ملكوت الله ووراثته والبركات الروحية السماوية.

ولقد أكد الرسول بولس هذه الحقيقة مرة ثالثة أيضاً وبكل وضوح في رسالته إلى المؤمنين في أفسس إذ كتب عن سر المسيح الذي أعلن الآن: "أن الأمم شركاء في الميراث والجسد ونوال مواعده في المسيح بالإنجيل." (أفسس ٣: ٦) إن سر المسيح إذن، هو أن المؤمنين بالمسيح من الأمم، قد صاروا شركاء في الميراث وكل البركات التي وهبها الله لبني إسرائيل قديماً، وشركاء في كل المواعيد وعلى رأسها الموعد بمجيء المخلص والملك المسيح، وذلك من خلال بشارة الإنجيل. أما النتيجة الوحيدة المنطقية لهذا الأمر، أنه أصبح يوجد بعد مجيء المسيح شعب واحد لله، هم المؤمنون بالمسيح، يتمتع بكافة الامتيازات والحقوق، ويرث كل بركات ومواعيد الله التي سبق له أن وعد بها الشعب في القديم.

هذا هو الموقف المسيحي السليم وموقف الكتاب المقدس الصحيح، الذي أعلنه لنا المسيح ورسالته الأوائل، وأكدته على مدار التاريخ الطويل علماء الفكر واللاهوت المسيحيين.